العمل يتقدّم

بعد ساعات من منحه جائزة نوبل للسلام، جلس الدكتور البرادعي لإجراء محادثة صريحة مع المحرر المعتمد من قبل القناة التلفزيونية (CNN)، جوناثان مان، الذي سلط الضوء بأسئلته السابرة على مشاكل العالم الأكثر جدلاً. وفيما يلي مقاطع من البث التلفزيوني للقناة (CNN).

جوناثان مان: دكتور البرادعي هل تعتبر نفسك رجل مباحث؟

البرادعي: حسناً، أعتبر منظَّمتي منظمة مباحث. وأنا أُدير هذه المنظمة، لذلك يُشار إلي أحياناً "كرجل مباحث رئيس". وإنني لا أعرف جميع أدوات الاستخبار، لكنني أعرف كيف أعمل مع رجال المباحث.

جوناثان مان: دعني أسالك عن إحدى القضايا المتداولة في الأخبار مؤخراً: وهي كوريا الشمالية. فقد مُنعت وكالتكم منذ ثلاث سنوات حتى الآن، فمنذ العام 2002 لم تسمح بيونغ يانغ بدخول أي مفتشين إلى ذلك البلد. فما الذي وصلوا إليه وأيُّ أنواع الأسلحة التي تعتقد أنهم أوجدوها في ذلك الوقت؟

البرادعي: حسناً، أظن أننا في كوريا الشمالية أفضل وضعاً لتكوين رأي، على عكس وضعنا في الهند وإسرائيل وباكستان حيث لم نجرِ فعلياً أي تحقيق سليم على الإطلاق. فبالنسبة لكوريا، نحن نعرف عندما كنا هناك حتى قبل ثلاث سنوات أن لديهم بلوتونيوم وأنه يمكن أن يدخل في الأسلحة، ونعرف أن لديهم ما يكفي من البلوتونيوم للأسلحة. وقد قالوا أنهم سخَّروا هذه المادة في الأسلحة. ونعرف أن لديهم البنية التحتية للتسلّح، لذلك لا يدهشني أن يكون لديهم أسلحة بلوتونيوم.

جوناثان مان: لندع العمل الاستخباراتي جانباً، لماذا العناء؟ لماذا نتكلّف عناء جمع كل المعلومات العلمية وأية ثقة ستكون لدينا في كل هذه الجهود، إذا عرفنا في آخر النهار أن لديهم شيئاً مرعباً، وقد مرت سنوات، ولم يتم فعل سوى القليل بهذا الخصوص.

البرادعي: أعتقد بالمطلق أنه لابد من التصدّي لذلك السؤال. ففي العام 1992 رفعنا تقريراً إلى مجلس الأمن عن كوريا الشمالية. وذكرنا أنهم لا ينصاعون لالتزامهم المتعلق بعدم الانتشار النووي. وفي العام 2003 رفعنا للمرة الثانية تقريراً وذكرنا أنهم يتمادون بعدم الالتزام وأنهم طردونا. إنني لازلت بحاجة لأن أسمع شيئاً من مجلس الأمن.

جوناثان مان: بمناسبة تلك الملاحظة، وأنت تثير إخطاراً مهماً، دعنا نعود إلى إيران. هل تواجه الوكالة الدولية للطاقة الذرّية مشكلة تفوق ما تواجهه إيران؟ فالجميع يتحدثون عن التهديد برفع تقرير عن إيران إلى مجلس الأمن. ماذا يحدث إذا قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرّية بفعل ذلك تماماً؟ وترفع تقريراً عن إيران مثلما فعلت مع كوريا الشمالية، وللمرة الثانية، لا يحدث شيء. ينكشف عدم الانتشار النووي كمنظومة بدون حول ولا طول، وما من أحد حاول أن يتأكد من فاعليته. هل تشكّل إيران لوكالتكم أزمة تفوق ما تشكله لقادة طهران؟

البرادعي: أعتقد أنها تشكل أزمة للعالم وليس للوكالة الدولية للطاقة الذرّية. فدورنا يتمثَّل في كوننا منظومة إنذار مبكر. وقد أطلقنا هذا الإنذار مبكِّراً منذ العام 1992 بخصوص كوريا الشمالية. ولم يتم فعل شيء. وأطلقنا الإنذار بالنسبة لإيران منذ ثلاث سنوات. ولم تسر الأمور كما كان ينبغي لها أن تسير.

جوناثان مان: دعني أقاطعك حول هذه الفكرة. ما مدى انفعالك بخصوص إطلاق ذلك الإنذار هذه المرة؟ ليس بسبب ما تجده في إيران، وليس بسبب حُرْقتك، بل بسبب خوفك من ألاّ يفعل مجلس الأمن شيئاً مرَّة أخرى؟

البرادعي: علي أن أطلق الإنذار لأن عملي هو إطلاق الإنذار. وآمل حينئذ أن يجمع الأشتات أحد ما، وهو هنا مجلس الأمن. وقد ذكرت هذا الصباح أننا بحاجة إلى آلية تطبيق بحيث لا تستطيع البلدان أن تولّي الأدبار إلى القتل. فإذا لم يفِ بلد بالتزامه، فإنه يجب على مجلس الأمن مساءَلته. لم تكن كوريا الشمالية أفضل مثال، ولكن مرة أخرى عندما تتحدث عن مجلس الأمن، فإنك حقاً تتحدث عن ضروب مختلفة من الخيارات. وإنك تتباحث حول تفهم القضايا الكامنة محاولاً الوصول إلى حل سلمي. إنك تتباحث حول العقوبات وأخيراً تتباحث حول استخدام القوة. لذلك فإن مجلس الأمن لا يعني بالضرورة استخدام القوة، بل يعني إجراءات إكراهية. وهذا يعني العقوبات. إنه يعني بشكل أولي محاولة مواصلة الحوار بين الأطراف ومحاولة إيجاد حل سلمي. لكنني أتفق معك في أن هذه المنظومة لا تملك القوة الكافية في الوقت الحالي. فتارة تتوفق وتارة تخفق. وفي حالة كوريا الشمالية، لم يتحقق شيء. لذلك نحن في حاجة إلى منظومة تطبيق منصفة.

جوناثان مان: لقد كانت سنة مهمّة للوكالة الدولية للطاقة الذرّية أيها المدير العام. فها أنت تجلس هنا وأنت الفائز بجائزة نوبل للسلام. وفي مثل هذا الوقت منذ عام كانت إدارة بوش تحاول إبعادك عن عملك، أيها الدكتور البرادعي، فماذا بالنسبة إلى معارضتك رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ونائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وكامل الإدارة الأمريكية بخصوص الأسلحة في العراق؟

البرادعي: أعتقد أنني كنت ببساطة أقوم بعملي. وليس من المفروض أن أكون محبوباً من قبل الجميع.

جوناثان مان: ومع ذلك فإنها لم تكن سهلة عليك. لا بد أنها أضفت بضع ليال من الأرق.

البرادعي: لم يكن الأمر سهلاً. لكنني لم أفقد النوم بسبب تلك القضية. بل فقدت النوم بسبب تقارير أفادت بأن خطوطي كانت مراقبة وأن ليس بإمكاني التحدث مع ابنتي دون التصنت علي. في الحقيقة لم أفقد النوم بسبب إدلائي بما اعتقدت أنها حقائق صحيحة. لسنا من أجل أن يحبَّنا الآخرون، لكننا من أجل أن يحترمنا الآخرون. هذا هو المفتاح بالنسبة لي.

جوناثان مان: هل غيرت الحرب في العراق أي شيء، هل غيرت هذه التجربة بمجملها أي شيء؟ وأعني ذلك بالنسبة للثقة بشهادة الدول الأعضاء، وبالنسبة لتشكيل إجماع بين دول مختلفة مثل روسيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية حول ما يمكن أن تعنيه الشهادة. وهل يعني ذلك أن العقوبات أصعب فرضاً، لأنه ما من أحد يثق بالمعلومات المتوافرة حالياً؟ ولأن العراق يوحي لبلدان العالم بأنهم إذا لم يكن لديهم أسلحة نووية فإنهم عرضة لتغيير نظام الحكم لديهم. هل يغير العراق كل شيء بالنسبة لك؟

البرادعي: لقد غَيّر العراق الكثير، ليس بالنسبة لي فقط، بل للجميع. هناك الكثير من الدروس يجب تعلمها من العراق. يجب أن نكون حذرين فيما يخص الاستخبارات. ولا حاجة بنا للقفز إلى البندقية. وإننا بحاجة لأن نتبيَّن ما إذا كان استخدام القوة أفضل من تحمل التجمُّل بصبر الدبلوماسية. هناك الكثير من الدروس التي نخوضها جميعاً، لكن كل امرئ يدرك أننا لا نستطيع أن ندور حول الماضي فقط. فهناك الكثير أمامنا: الإرهاب وانتشار الأسلحة النووية؛ ونحن بكل ما في الكلمة من معنى لا نستطيع أن نتحمل عدم الاتفاق. إننا بحاجة إلى الاستمرار بالعمل معاً: دولاً وأعضاءً واستخبارات ومنظمات دولية وأفراداً. فالأخطار التي تواجهنا ساحقة بحيث يجب علينا أن نضع خلافاتنا وراءنا. وهذا هو ما فعلناه وهذا هو ما فعلته إدارة بوش الجديدة.

جوناثان مان: ما مدى رغبتك في أن تتحدث إلى عبد القادر خان وماذا يمكنه أن يخبرك؟

البرادعي: أود أن أتحدث إليه. وينبغي أن أضيف أن الحكومة الباكستانية كانت متعاونة تماماً، فهي تزوِّدنا بالمعلومات وتعمل كوسيط بين عبد القادر خان وبيننا. ومن الواضح في نهاية المطاف أنه سيكون من المفيد لنا أن نتحدث مع هذا الرجل بشكل مباشر. لكنني أود أن أذكر هنا ثلاثة أمور. أولاً: هذه التقانة أصبحت واقعاً. ولم يعد ينفع ضبط الانتشار النووي فقط عن طريق مراقبة التصدير لأن هذه التقانة انكشفت. وما رأيناه في ليبيا وما رأيناه في إيران ليس في الحقيقة إخفاقاً للوكالة في حدّ ذاتها، فقد كان إخفاقاً للدول في الإشراف على ما يجري تصديره من بلدانهم. لقد كانت شبكة عبد القادر خان منتشرة في كل مكان. وقد وجدنا ثلاثين شركة في كل مكان في العالم تعمل كجزء من —

جوناثان مان: من ثلاثين دولة؟ توجد سوق كبيرة نووية مع حقوق الامتياز في ثلاثين بلداً؟

البرادعي: في أوربا وفي إفريقيا وفي الشرق الأوسط وفي آسيا وفي كل مكان. وهذه هي إحدى المشاكل. والمشكلة الثانية، بالطبع، تكمن في النظر إلى السبب الذي يُغري الدول لتطوير أسلحة نووية. إنه الأمن. فالناس يشعرون بعدم الأمن. فإذا قمنا بحلِّ القضية الفلسطينية وقضية كشمير والقضية الكورية، سيختفي 90% من مشكلة الانتشار النووي. والـ 10% المتبقِّية....

جوناثان مان: سينبري شخص ما ويقول أن الحكومة الإيرانية لا تحتاج لأسلحة نووية لكي تحلّ قضية كشمير والمشكلة الفلسطينية. هذه ليست المشكلة حقاً. المشكلة هي أنه يمكن للحكومات أن تشتري هذا الشكل من الأمن وتستطيع الحصول عليه ولا أحد في الحقيقة قادر على منعها.

البرادعي: قد لا تحتاج إيران أن تحلّ قضية الشرق الأوسط، لكن إيران موجودة ضمن جوارٍ مجافٍ جداً.

جوناثان مان: دعني فقط أضيف إلى ذلك. إنه عالم غير ودود. لذلك، حتى لو زالت تلك المشاكل الثلاث التي ذكرت، فما لم يوجد سلام عالمي أبديّ، ستبقى الأسلحة النووية شيئاً يغري حكومة ما بشكل استثنائي بشرائها. ومرة ثانية، ستتمثل المشكلة في كيفية منعها.

البرادعي: حتماً. إذا كنت تشعر بعدم الأمن، إذا كنت ترغب في عرض القوة... عادةً، فإنك تطوِّر أسلحة نووية لأنك تشعر بعدم الأمن أو أنك ترغب في عرض القوة أو النفوذ. وإذا رغبت في عمل أي من هذين الأمرين، فإنك تسعى إلى أولئك الموجودين في حلف الكبار. وهؤلاء القوم ما يزالون يعتمدون على الأسلحة النووية. لديك هذه البلدان الثمانية التي تواصل القول لكل بلد آخر غيرها أن الأسلحة النووية لا تنفعك في حين تستمر هي نفسها في تحسين ترساناتها النووية.

جوناثان مان: في الحقيقة هذا هو ما يسميه رئيس إيران سياسة التمييز العنصري النووي –إذ تستطيع بعض البلدان أن تقرر الحقوق النووية لبلدان أخرى غيرها.

البرادعي: حسناً، أنا لن أسميها سياسة تمييز عنصري. إننا بحاجة إلى منظومة أمن تكون عادلة. وكما قال رئيس لجنة نوبل هذا الصباح، إنك لا تستطيع أن تطلب من الجميع عدم التدخين بينما تتدلى سيجارة من فمك. هذا ليس معقولاً، إنه لن يدوم. إنك بحاجة لأن تكون قدوة كي تقود الآخرين.

جوناثان مان: لقد كانت شبكة عبد القادر خان تجري مباحثات مع القاعدة. فماذا يخبرك ذلك عمَّا يفكر فيه الإرهابيون بخصوص الأسلحة النووية؟

البرادعي: من الواضح جداً أن الإرهابيين مهتمون في الحصول على أسلحة نووية ومصادر مشعّة. فإذا رأيت المكر الذي شاهدناه في الحادي عشر من أيلول... فإنك لا بد أن تكون في غاية القلق. نحن في سباق مع الزمن. فأنا أرى أن التهديد رقم 1 للأمن الذي نواجهه اليوم لا يتمثّل في ازدياد عدد البلدان التي تحوز الأسلحة النووية بقدر ما يتمثّل في حيازة الإرهابيين على أسلحة نووية. فحتى إذا قُدر لدولة ما أن تحوز على أسلحة نووية، فسيأمل المرء بأن ذلك سيبقى عبر رادع نووي هو الدمار المتبادل المؤكد (MAD). أما إذا كنت إرهابياً وحصلت على سلاح نووي، فإنني أعتقد أنهم لن يفكروا مرتين في شأن استخدامه. إذ إن تلك بالضبط هي رسالتهم.

جوناثان مان: إنك تثير نقطة مهمّة جداً هنا. فرغم كل الاهتمام بما نسمع، حول ما توجِّهه الصحف والدبلوماسيون والحكومات حول العالم من تنبيه إلى كوريا الشمالية أو إيران أو الهند أو باكستان أو إسرائيل، يوجد أناسٌ يعتقدون أنه في المرة الثانية التي سيستخدم فيها السلاح النووي، سيكون من قبل مجموعة إرهابية ومن الممكن أن تكون مجموعة لا نعرف حتى اسمها.

البرادعي: أعتقد أن ذلك محتمل. وأكره أن استخدم المبالغة. ثمّة خطر في استخدام الأسلحة النووية من قبل إرهابي... يفوق استخدامه من قبل دولة، لأننا لا زلنا نعمل على أساس هذا المفهوم للدمار المشترك المؤكد.

جوناثان مان: وهكذا هل يملك العالم الأدوات اللازمة لمواجهة تلك المشكلة المتمثّلة في إيقاف ذلك التهديد الرهيب؟

البرادعي: نحن نفعل أقصى ما نستطيع –وعندما أقول "نحن"، فأنا أعني الوكالة الدولية للطاقة الذرّية بالاشتراك مع بقية المجتمع الدولي... وإننا نعمل بأسرع ما يمكننا للتأكد من أن كل منشأة نووية وكل مادة نووية وكل مصدر مشع يحظى بقدرٍ كافٍ من الضمان. وقد نفذنا 50% من هذه المهمّة. ولازال علينا فعل الكثير. إننا بحاجة إلى التركيز على هذه المهمّة وبحاجة إلى تجميع جميع ما نملك من مصادر... لأننا في سباق مع الزمن.

جوناثان مان: تمنح جائزة نوبل صاحبها وجاهة هائلة. فهناك ميدالية ذهبية أنيقة ودبلوم جميل يدوي الصُّنع يصدر كل عام. وهناك أيضاً المال (1.3 مليون دولار أمريكي) يُقسَّم كل سنة بين الحائزين على الجائزة، وفي هذه الحالة هما الدكتور البرادعي والوكالة. ماذا ستفعل بالمال؟

البرادعي: سيُخصص جزء المال المتعلق بالوكالة لمعالجة الشباب في البلدان النامية، وبشكل أساسي النساء، في مكافحتهنَّ السرطان وتأمينهنَّ التغذية للأطفال الصغار. أما حصتي من المال... فسوف استخدمها لمساعدة دار الأيتام في مصر. فأنا جئت من بلد فيه الكثير من الفقر. وأنا أعرف ما يمكن للفقر أن يفعله بالناس وسأستخدم المال في هذا المجال. إنَّ لهذه الجائزة الكثير من المعنى بالنسبة لي. إنه ليس المال. فلو كان الأمر يتعلق بالمال، لكنت خارج الوظيفة منذ أمد طويل. إنه يتمثَّل حقاً في الوضوح والمصداقية والتفويض الأخلاقي المضاف للتعاطي مع جميع المصاعب التي تحدثنا عنها: التفويض المحدود والميزانية المحدودة. أعتقد أننا أحرزنا تلك الجائزة ليس لأننا قد نجحنا في كل مرة، بل بسبب جهدنا الثابت في محاولة جعل عالمنا أكثر أماناً بعض الشيء وأكثر إنسانية إلى حدٍّ ما.

جوناثان مان: لدي سؤال واحد أخير. ظهرت اليوم على الصفحة الأولى لصحيفة محلية لهذا اليوم، صورة مثيرة جداً لوجهك وتقول تلك الصحيفة: "هل يمكنه إنقاذ العالم؟" فهل يمكنك فعل ذلك؟

البرادعي: إذا ساعدتموني.

جوناثان مان: إنها طريقة جيدة لإنهاء الحديث. إنني أود أن أتلقَّف شيئاً قلته قبل لحظة. في كل سنة تختار لجنة نوبل النرويجية فائزاً لهذه الجائزة لسبب من عدد من الأسباب. لكن ما بين سنة وأخرى، توجد أسباب تبقى هي نفسها. وأحد هذه الأسباب، كما سمعنا وأشير إليه قبل لحظة، يتمثَّل في مكافأة إنجاز ما. وسبب آخر يتمثَّل في مكافأة الجهد حينما لا يتم الإنجاز بشكل كلِّي. ولعل الأسلم أن نقول أن الوكالة الدولية للطاقة الذرّية هي حالة وثيقة الصلة بذلك. فما تزال حكومات حول العالم ومجموعات إرهاب تحاول الحصول على الأسلحة النووية، والوكالة بحدّ ذاتها هي عمل مستمر يسعى لتجميع الوسائل التي تمنعهم فعلاً من تحقيق ذلك. إنها لا تملك حتى الآن كل مستلزماتها. ونتيجة لذلك يقول بعض منتقديها أنها لم تكن تستحق جائزة نوبل. ويقول مؤيدوها أن ذلك هو السبب عينه الذي يجعلها تستحق الجائزة. لأنه في عالم لا توجد فيه ضمانات أو حلول سهلة تكون الوكالة الدولية للطاقة الذرّية أو شيء ما يشبهها كثيراً هي الأمل الأسلم.

مال الجائزة

لتمويل السرطان والتغذية ومنح في العالم النامي

525000 يورو

بتاريخ 7 تشرين الأول/أكتوبر منحت لجنة نوبل النرويجية جائزة نوبل للسلام للعام 2005 مناصفة بين الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومديرها العام البرادعي.

سيستخدم مال جائزة نوبل للسلام الممنوح للوكالة لإنشاء صندوق للمنح الدراسية والتدريب لصالح تحسين إدارة تدبير السرطان وتغذية الأطفال في العالم النامي.

وقد تأسس صندوق يُعرف باسم "صندوق جائزة نوبل للوكالة الدولية للطاقة الذرّية من أجل السرطان والتغذية" بغية استلام حصة الوكالة من جائزة المليون دولار الوجيهة.

وسيُنفق مبلغ الـ 525000 يورو لتوسيع المصادر البشرية في المناطق النامية من العالم. أما في مجال إدارة تدبير السرطان، فسوف ينفق المال على التدريب في مجال علم الأورام الإشعاعي بقصد تحسين معالجة السرطان والحيطة منه، وذلك كجزء من برنامج عمل الوكالة الدولية للطاقة الذرّية حول علاج السرطان (PACT).

وفي مجال التغذية، سيكون تركيز التدريب على دور التغذية في المساعدة على تأمين التنمية الصحية للأطفال عن طريق استخدام تقنيات نووية لتحديد المشاكل وتقييم فاعلية الإجراءات الوقائية المتخذة.

وستُقدم منح الزمالة المخصصة للمهنيين الشباب، ولاسيما إلى نساء من الدول الأعضاء النامية، وذلك من خلال برنامج التعاون الفني للوكالة. ومن المُقترح أيضاً تنظيم دورات تدريبية في مراكز إقليمية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

هذا وقد شجع الدكتور البرادعي الدول الأعضاء والجهات المانحة على المساهمة في الصندوق الخاص عن طريق تقديم موارد إضافية نقدية وعينية. إذ قال الدكتور البرادعي: "سوف تُستخدم لزيادة قدرة الوكالة القصوى في مجال بناء القدرات ونقل المهارات للدول النامية".

وقد وجَّه الدكتور البرادعي حصته من الجائزة لأغراض خيرية.